أساليب الحوار
في ضوء سنة المختار صلى الله عليه وسلم

د. محمد بن ناصر بن محمد القرني
جامعة الملك خالد

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أرسل رسله بالبينات، وأيّدهم بالمعجزات.

يقول الله[1] - تعالى-: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ).

ويقول[2] أيضاً :(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا).

---

(1) سورة آل عمران ، الآية : 102.
(2) سورة النساء ، الآية :1.

ويقول[1] - تعالى - : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا).

اللهم صل ، وسلِّم ، وبارِك على سيدنا محمد ، وعلى آله ، وصحبه ، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين. **أمَّا بَعْدُ**

فقد اهتم الإسلام بالحوار اهتمامًا كبيرًا؛ وذلك لأن الإسلام يرى أن الطبيعة الإنسانية ميَّالة بطبعها ، وفطرتها إلى الحوار ، أو الجدال ؛ كما يطلق عليه القرآن الكريم - فى وصفه للإنسان - في قول الله[2] - تعالى - : (وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا).

بل إن صفة الحوار ، أو الجدال لدى الإنسان فى نظر الإسلام تمتد حتى إلى ما بعد الموت، إلى يوم الحساب ؛ كما يخبرنا القرآن الكريم فى قوله[3] - تعالى - (يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ).

من خلال ذلك أرى أن الحوار لدى الإنسان فى نظر الإسلام صفة متلازمة معه؛ ولهذا فقد حدَّد الإسلام المنطلق ، أو الهدف الحقيقي الذى ينطلق منه المسلم فى حواره مع الآخرين؛ فالإسلام يرى أن المنطلق الحقيقي للحوار هو ضرورة البحث عن الحق ، ولزوم إتباعه.

وسوف أتحدث فى هذا البحث عن حوارات النبي - صلى الله عليه وسلم - المختلفة ؛ لنتعلم منها أصول ، وآداب الحوار ؛ وسوف تكون خطة البحث على النحو الآتي :

أولًا - المقدمة .

ثانيًا - الفصل الأول : تعريف الحوار ، وبيان أهميته ؛ وفيه مباحث .

---

(1) سورة الأحزاب ، الآيتان : 70-71.

(2) سورة الكهف ، الآية : 54.

(3) سورة النحل ، الآية : 111.

ثالثًا - الفصل الثاني : حوار النبي - ﷺ - ؛ وفيه مباحث .

رابعًا - الفصل الثالث : نجاح الحوار ؛ وفيه مباحث .

خامسًا - الخاتمة .

ثم فهرست المصادر والمراجع

أسال الله - تعالى - أن يرزقني القَبُول، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم.

وأن يجعله فى ميزان حسناتي يوم العرض عليه.

وآخر دعوانا أَنِ الحمدُ للهِ رَبِّ العالمين.

الفصل الأول

تعريف الحوار ، وبيان أهميته

المبحث الأول

الحوار فى اللغة ، والاصطلاح

أولًا - الحوار فى اللغة[1]

الحاء ، والواو ، والراء ؛ ثلاثة أصول ، أحدها لون، والآخر: الرجوع، والثالث: أن يدور الشيء دورًا.

يُقال : حار إلى الشيء يحور حوارًا ، ومحارًا ، ومحارةً ، وحؤورًا : رجع إليه.

وحارت الغصة: انحدرت.

وفى الحديث النبوي الشريف : « **من دعا رجلًا بالكفر ، وليس كذلك حار**

([1]) ينظر: لسان العرب 383/3، معجم مقاييس اللغة 115/2، ومفردات ألفاظ القرآن 262، وأساس البلاغة 98.

عليه »[1]، أي : رجع إليه ما نسبه إليه.

ويُقال: حار عن الشيء؛ أي : رجع عنه ، وكل شيء تَغَيَّرَ من حالٍ إلى حالٍ فقد حار يحور حورًا.

ويُقال: حار بعد ما كان؛ أي : نقص بعد زيادة ؛ لأنه رجوعٌ من حالٍ إلى حالٍ، أو أنه كان على حالة جميلة فحار عن ذلك.

ويُقال: أحار عليه جوابًا يحيره إحارة: رده.

ويُقال: أحرت له جوابًا، رددته.

ويُقال:ما أحار بكلمة ؛ أي : ما رد .

ويُقال: طحنت الطاحنة فما أحارت شيئًا، ما ردت شيئًا من الدقيق.

حاوره محاورةً : جاوبه ، وراجعه فى الكلام، وتحاور القوم : تجاوبوا ، وتراجعوا الكلام بينهم.

وحاوره: جادله.

ويُقال: تحاوروا يتحاورون تحاورًا: تراجعوا الكلام بينهم.

وتحاورا : تجادلوا.

فالمحاورة: المجاوبة، والتحاور: التجاوب.

ومن خلال هذه التعريفات يتبين للباحث أن كلمة الحوار فى اللغة العربية لم تخرج عن معاني المحاورة ، ورد الجواب ، والمراجعة.

ثانيًا - الحوار فى الاصطلاح

هو عملية اتصال بين طرفين ، أو أكثر تعتمد على المخاطبة ، والمساءلة حول شأن من الشؤون.

وقيل: حديث بين طرفين ، أو أكثر حول قضية معينة بهدف الوصول إلى

([1]) أخرجه البخاري في كتاب الأدب - باب ما ينهى عن السباب واللعن 7 / 110 ؛ بلفظ : ارتدَّ عليه ؛ ومسلم في صحيحه 1 / 79 في كتاب الإيمان - باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم ؛ وأحمد في المسند 166/5، رقم (21503) .

الحقيقة بعيدًا عن الخصومة ، والتعصب ؛ بل بطريقة علمية إقناعية ، ولا يشترط فيها الحصول على نتائج فورية.

وقيل : مراجعة للكلام بين طرفين ، أو أكثر دون وجود خصومة بينهم بالضرورة.

ومن هذه التعاريف ، والاصطلاحات يتبين للباحث أن الحوار: عملية تواصلية متكافئة بين اثنين ، أو أكثر بهدف الوصول إلى الحقيقة بعيدًا عن الخصومة ، والتعصب.

العلاقة بين الحوار ، والجدل ، والمناظرة ، والمناقشة

أولاً- الجدل

تعريف الجدل لغة[1]:

الجيم ، والدال ، واللام؛ أصل واحد؛ وهو من باب استحكام الشيء فى استرسال يكون فيه، وامتداد الخصومة، ومراجعة الكلام، والجدل: المفاوضة على سبيل المنازعة ، والمغالبة ؛ وأصله من جدل الحبل؛ أي : أحكمت فتله.

والجدل مستعمل فى الأصل لمن خاصم بما يشغل عن ظهور الحق ، ووضوح الصواب، ثم استعمل فى مقابلة الأدلة لظهور أرجحها.

والمجادلة: دفع القول على طريق الحجة بالقوة، وقد تكون حَقًّا فى نصرة الحق ، وباطلًا فى نصرة الباطل.

يشترك الحوار ، والمجادلة فى مراجعة الكلام ، وتداوله بين طرفين، ولقد اجتمع اللفظان فى قوله[2] - تعالى - : (قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ) .

غير أن المجادلة تأخذ طابع القوة ، والغلبة ، والخصومة، والإسلام ينهانا عن الجدل إلا بالتي هى أحسن ؛ يقول الله[3] - تعالى - : (وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ

---

(1) ينظر معجم مقاييس اللغة 433، ومفردات ألفاظ القرآن 189.

(2) سورة المجادلة ، الآية :1 .

(3) سورة النحل ، الآية : 125 .

أَحْسَنُ).

وقال الله[1] - تعالى - : (وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ).

ومما يؤكد ذلك قول النبي[2] - صلى الله عليه وسلم - : « **وما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل** » .

ومما سبق يتضح لنا أن الجدل ينقسم إلى قسمين: أحدهما محمود ، والآخر مذموم.

فأما الجدل المحمود ؛ فهو الذى يقصد به الحق ، ويستعمل به الصدق.

وأما المذموم ؛ فما أريد به المماراة، والغلبة، وطلب الرياء، والسمعة.

كما يتبين لنا أن الحوار أوسع دلالة من الجدل؛ فكل جدل حوار وليس كل حوار جدل، وذلك لأن الجدل فيه منازعة وقوة، ومغالبة، وخصومة؛ وينصر الفكرة وإن كانت باطلة؛ وهذا ما لا يوجد فى الحوار.

ثانيًا - المناظرة

المناظرة: هى تردد الكلام بين شخصين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله، وإبطال قول صاحبه مع رغبة كل منهما فى ظهور الحق.

ومن هنا يتبين لنا أن المناظرة تقوم على المواجهة، والتضاد، والتصحيح، والإبطال فى حين أن الحوار لا يرتكز على ذلك.

ثالثًا - المناقشة

المناقشة: هي نوع من التحاور بين شخصين، أو طرفين؛ ولكنها تقوم على أساس استقصاء الحساب، وتعرية الأخطاء، وإحصائها، ومنه يتبين لنا أن

---

(1) سورة العنكبوت ، الآية : 46 .

(2) أخرجه الترمذي في سننه 378/5؛ رقم (3253)؛ وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه في سننه 9/1؛ رقم (48) ، وأحمد في المسند 252/5؛ رقم (22218)، والطبراني 277/8؛ رقم (8067)، والحاكم 486/2؛ رقم (3674)؛ وقال: صحيح الإسناد.

المناقشة تقوم على المواجهة، وتتبع الأخطاء، وإظهارها ، وإحصائها، ومحاسبة صاحبها؛ وهذا ما ليس فى الحوار.

ومما سبق يتضح لنا أن الحوار يحظى بحفاوة، ومرتبة علمية مهمة عند علماء المسلمين، ومفكريهم؛ وهذا الاهتمام ناتج عن تميز الحوار بالوسطية، والإنصاف عن الجدل، والمناظرة، والمناقشة؛ وإن كانت هذه الاصطلاحات تستعمل مرادفة للحوار فى استعمالات غير مقصودة.

الدعوة إلى الحوار فى القرآن

كلمة (حوار) لم ترد فى آيات القرآن الكريم؛ وإنما وردت مشتقات لها مثل:

(يحور) فى قوله[1] - تعالى - : (إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ) .

و(يحاوره) فى قوله[2] - تعالى - : (وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا) .

و(تحاور) ؛ كما فى قوله[3] - تعالى - : (وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ).

وهذه الاشتقاقات - في نظر الباحث - لم تخرج عن معنى المراجعة ، والمجاوبة ؛ وهما جوهر معنى الحوار - كما بينا من قَبْل - فى اللغة .

والناظر فى آيات القرآن الكريم يجد التأكيد فيها على جدوى الحوار، والدعوة إلى ممارسته فى إطار سنة الاختلاف ، والتنوع المقررة فى قوله[4] - تعالى - : (وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ).

---

(1) سورة الإنشقاق ، الآية :14 .

(2) سورة الكهف ، الآية : 34 .

(3) سورة المجادلة ، الآية : 1 .

(4) سورة هود ، الآيتان : 118-119.

ووضع القرآن الكريم أسس الحوار؛ كما في قوله[1] - تعالى - : (قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ).

كما أن القرآن الكريم دعا إلى ممارسة الحوار في الحياة اليومية، والعلاقات الإنسانية المتواصلة؛ وذلك من خلال المبادرة بالتحية، والسلام وردها؛ يقول الله - عز وجل -(وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا)[2].

إذًا الإسلام لغة حوار، وقناعة، وعقل؛ وليس لغة عنف، وإجبار، وتعسف.

وبَيَّنَ القرآن الكريم أن الحوار أسلوب الأنبياء، والمرسلين، والصالحين؛ حتى تميز به موسى - عليه السلام - ؛ لكثرة مخاطبته لله - عز وجل - ؛ حيث يقول[3] - تعالى - (وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا).

المبحث الثاني

نماذج للحوار من القرآن الكريم

أولًا- حوار الله - عز وجل - مع ملائكته

يقول الله[4] - تعالى - : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ).

عجبًا لهذا الحوار الرفيع بَيْنَ مَنْ؟ إنه بين الخالق، والمخلوق؛ بين الواحد الأحد، والملائكة المقربين؛ فالله - عز وجل - أراد أن يوجد كائنًا حيًّا في الأرض؛ ليسلمه زمامها، وتطلق فيها يده، ويوكل إليه إبراز مشيئة الخالق في الإبداع، والتكوين؛ فَخَلَقَ آدم - عليه السلام - ، وأنزله الأرض، وكرَّمه.

---

(1) سورة آل عمران ، الآية : 64 .
(2) سورة النساء ، الآية : 86 .
(3) سورة النساء ، الآية : 164 .
(4) سورة البقرة ، الآية : 30 .

فالملائكة - عليهم السلام - بفطرتهم التى لا تعرف إلا الخير المطلق، والسلام الشامل؛ ويرون أن التسبيح، والتقديس هو الغاية المطلقة؛ وهم يقومون به؛ وكأن الله - عز وجل - كشف لهم عن شيء من فطرة هذا المخلوق، وأن بعضهم سيفسد فى الأرض، ويسفك الدماء، ولكن خفى عليهم حكمة الله من وجود هذا الإنسان؛ فتم الحوار في أسلوب رفيع، وعظيم.

ثانيًا – حوار الله - عز وجل - مع إبليس

وها هو الحوار الثاني لله - عز وجل - مع مخلوق آخر من مخلوقاته؛ وهو إبليس الذى عصى الله - عز وجل - عندما أمره بالسجود لآدم - عليه السلام -؛ فمنعه حسده؛ فعصى الله[1] - عز وجل - ؛ وكان الحوار الآتي؛ كما ذكره الله – عز وجل – فى محكم التنزيل؛ فقال : (قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ).

نعم كان هذا الحوار بين الخالق العظيم، وبين المخلوق المطرود من رحمة الله إبليس اللعين الذى أعلن فى تبجح خبيث أنه سيغوى ذلك المخلوق الذى كرمه الله - عز وجل - بكل طريق ممكن، وأنه سيكون العدو الأول لهذا الإنسان حتى يدخله معه النار؛ إنه حوار يعلمنا أدب الحوار مع المخطئين.

ثالثًا - حوار الله - عز وجل - مع أنبيائه

وكذلك حواره - عز وجل - مع نبي من أنبيائه - من أولي العزم من الرسل - إنه عيسى - عليه السلام - ؛ حيث حكى القرآن الكريم هذا الحوار؛ فقال الله[2] - تعالى - (وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ

([1]) سورة الاعراف ، من الآية 12 إلى الآية 19 .

([2]) سورة المائدة ، من الآية 116 إلى الآية 119 .

إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ).

رابعًا - حوار الصالحين

وها هو مثال آخر لحوار الصالحين بعضهم مع بعض فى أدب جم، وأسلوب رفيع الأداء؛ ألا وهو الحوار الذى دار بين موسى والخضر - عليهما السلام - يقول[1] - تعالى - : (فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ

([1]) سورة الكهف ، من الآية 65 إلى الآية 82 .

لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا).

والأمثلة على الحوار فى كتاب الله - عز وجل - كثيرة جدا؛ وهذا يدل - في نظر الباحث - دلالة واضحة على أن الحوار، والمناقشة، والمناظرة من الأساليب الدعوية التى يتبين من خلالها الحق لمن أراده، وكذلك إقامة الحجة على المعاند الذى عرف الحق ولم يتبعه؛ كإبليس الذى عصى الله على بصيرة مع علمه اليقين بالحق.

المبحث الثالث

أساليب الحوار فى القرآن الكريم

إن الحوار أمر ضروري، وملح فى الدعوة الإسلامية؛ فقد أوصى الله به رسوله - ﷺ - فى كثير من الآيات القرآنية العظيمة؛ والتى من بينها قوله[1] - تعالى - : (وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ).

وكذلك قوله[2] : (ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ). ولكن الحوار المبني على العلم، والحكمة، والنية الصادقة التى تود الوصول إلى الحق؛ وإلى هداية الخلق بأسلوب حسن ليس فيه غلظة، ولا جفوة؛ ويشعر المحاور أنه يريد له الخير، والنجاة؛ فإذا لم يكن الحوار كذلك ربما تأتي النتائج عكسية.

ثم رسم القرآن الكريم أفضل أساليب الحوار؛ منها:

1 - أسلوب الشك، ووضع الأفكار موضع التمحيص، والاختبار، واحترام الرأي، وعدم إسقاطه؛ ومثال ذلك قوله[3] - تعالى - : (وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ).

---

(1) سورة النحل ، الآية : 125 .
(2) سورة فصلت ، الآية : 34 .
(3) سور سبأ ، الآية : 24 .

2 - البدء في الحوار بالأفكار المشتركة؛ كما في قوله[1] - تبارك وتعالى : (قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ).

3 - إنهاء الحوار السلبي بالإيجابية، والاتفاق؛ كما في قوله[2] - تعالى - : (قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ) .

المبحث الرابع

أهمية الحوار

للحوار أهمية كبيرة في الإسلام؛ ويظهر ذلك من خلال النقاط الآتية:

أولًا- الدعوة إلى الإسلام

الحوار هو السبيل إلى دعوة الناس إلى الدخول في الإسلام، تعقد المحاورات مع غير المسلمين؛ لإقناعهم بأن دين الله - تعالى - حق لا شك فيه.

والقرآن الكريم حافل بنماذج من مثل هذه الحوارات التي جرت بين أنبياء الله، ورسله - عليهم السلام - وبين أقوامهم حتى إن قوم نوح قالوا له كما يحكي لنا القرآن الكريم في قول الله[3] - تعالى - : (قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا).

فالحوار وسيلة من وسائل الدعوة، والمشكلة أن كثيرا من الناس لا يحسنون الطريقة المثلى للحوار؛ لإقناع الخصم بما لديهم من الحق، وقد لا يحسن هؤلاء أن يناقش بعضهم بعضًا.

ثانيًا- فصل الخلاف في الأمور الاجتهادية

---

(1) سورة يونس ، الآية :41 .

(2) سورة الكافرون ، من الآية 1 إلى الآية 6 .

(3) سورة هود ، الآية :32

فالحوار يعد وسيلة للوصول إلى اليقين، والحق فى مسألة اجتهادية اختلفت فيها أقوال المجتهدين؛ فيتكلم اثنان فى محاورة، أو مناظرة؛ للوصول إلى الحق فى مسألة اجتهادية ليس فيها نص صريح، أو إجماع لا يجوز تعديه.

وليس من الضروري أن تكون نتيجة الحوار إقناع أحد الأطراف برأي الطرف الآخر؛ فأقل شيء نستطيع كسبه من الحوار أن يعلم المخالف أن لدينا حجة قوية؛ فكثير من الناس يظنون أنَّ الآخرين لا يملكون الحق.

الفصل الثاني

حوار النبي - ﷺ -

الأساس الذي ينبني عليه حوار النبي - ﷺ - مع الناس كافة هو ما بَيَّنَهُ عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - فى قوله : لم يكن النبي - ﷺ - فاحشًا ولا متفحشًا؛ وكان يقول: « **إن خياركم أحسنكم أخلاقًا** »[1].

ويذكر الإمام الترمذي - رحمه الله - فى كتابه : الشمائل النبوية فى باب صفة كلامه- ﷺ - عدة أحاديث تصف حديثه - ﷺ - منها :

عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت : ما كان رسول الله يسرد سردكم[2] هذا؛ ولكن كان يتكلم بكلامٍ بَيِّنٍ فَصْلٍ يحفظه مَنْ جلس إليه.

وعن أنس بن مالك قال : كان رسول الله - ﷺ - يعيد الكلمة ثلاثًا ؛ لتعقل عنه.

وعن الحسن بن على - رضي الله عنهما - قال: سألت خالي هند بن أبي هالة؛ وكان وَصَّافًا قلت: صِفْ لى منطق رسول الله؛ قال: كان رسول الله متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة، طويل السكت لا يتكلم فى غير حاجة يفتتح الكلام، ويختمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم، كلامه فصل لا فضول، ولا تقصير، ليس بالجافي ولا المهين يعظم النعمة؛ وإن دقت لا يذم

---

(1) أخرجه البخاري 1305/3؛ رقم (3366)، ومسلم 1810/4؛ رقم (2321).

(2) السرد : الاستعجال بمتابعة الحديث، والمعنى أن النبي - ﷺ - لا يتحدث باستعجال، وإنما يتكلم بكلامٍ بَيِّنٍ حتى يستطيع أن يفهمه الفاهم، أو يحفظه الحافظ، ويوضح ذلك الحديث التالي عن أنس بن مالك.

منها شيئًا غير أنه لم يكن يذم ذواقًا، ولا يمدحه، ولا تغضبه الدنيا، ولا ما كان لها؛ فإذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا اتصل بها، وضرب براحته اليمنى بطن إبهامه اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح [1] ، وإذا فرح غض طرفه، جل ضحكه التبسم يفتر عن مثل حب الغمام[2].

ويمكن لنا أن نقسم حوار النبي - ﷺ - إلى عناصر المجتمع الثلاث:

1 - حواره - ﷺ - مع الرجال .

2 - حواره - ﷺ - مع النساء .

3 - حواره - ﷺ - مع الأطفال .

المبحث الأول

حوار النبي - ﷺ - مع الشباب والرجال

كان حوار النبي - ﷺ - يتسم بالموضوعية، والهدوء، وعدم الانفعال.

ويمكن تقسيم هذا النوع من الحوار إلى:

1- حواره - ﷺ - مع المخطئين

فقد جاءه شاب يطلب منه أن يأذن له فى الوقوع فى الزنا؛ فبماذا تعامل معه النبي - ﷺ -؟

فعن أبي أمامة - رضي الله عنه - : قال أتى النبي - ﷺ - فَتًى من قريش؛ فقال: ائذن لي فى الزنا؛ فزجره القوم؛ فقال النبي - ﷺ - : ادنُ مني؛ فلما دنا قال:

أتحب الزنا لأمك؟ قال: لا والله؛ قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم.

قال: أتحبه لابنتك؟ قال: لا والله؛ قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم.

قال : أتحبه لأختك؟ قال: لا والله؛ قال: ولا الناس يحبونه لاخواتهم.

قال : أتحبه لعمتك ؟ قال: لا والله؛ قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم.

([1]) أشاح: عدل عن الشيء، أو حذر منه.

([2]) الشمائل النبوية للترمذي - باب فى صفة كلامه - ﷺ - .

قال: أتحبه لخالتك ؟ قال: لا والله؛ قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم.

ثم وضع يده الشريفة عليه؛ وقال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن فرجه[1].

وهذا رجل يدخل المسجد؛ فيبول فيه؛ فيتناوله الناس؛ فينهاهم النبي - ﷺ -، ويدعوهم إلى التيسير والتعليم.

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قام أعرابي فبال فى المسجد، فتناوله الناس؛ فقال لهم النبي - ﷺ - : دعوه، وهريقوا على بوله سجلًا من ماء، أو ذنوبًا من ماء؛ فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين[2].

ومن أمثلة ذلك - أيضًا - أن رجلًا أتى المسجد؛ ليصلي؛ فسمع من يعطس فى الصلاة؛ فقال: يرحمكم الله؛ فأخذ الناس يضربون على أفخاذهم حتى يسكت؛ فلما انتهت الصلاة بعث إليه - ﷺ - وعلمه.

ولنستمع إلى معاوية بن الحكم السلمي يحكي لنا ما حدث معه؛ حيث يقول: بينما أنا مع رسول الله - ﷺ - فى صلاة إذ عطس رجل؛ فقلت : يرحمك الله؛ فحدقني القوم بأبصارهم؛ فقلت : واثكل أماه، مالكم تنظرون إلي؛ فضرب القوم بأيديهم على أفخاذهم؛ فلما رأيتهم يسكتونني سكت؛ فلما انصرف النبي - ﷺ - من صلاته دعاني فبأبي وأمي ما رأيت معلمًا قبله، ولا بعده أحسن تعليمًا منه؛ والله ما ضربني ولا كهرني ولا سبني؛ ولكن قال لي : إن

---

(1) أخرجه أحمد في المسند 256/5 ؛ رقم (22265)، والطبراني فى الكبير 162/8؛ رقم (7679)، وفى مسند الشاميين 373/2؛ رقم (1523) ، والبيهقي فى شعب الإيمان 362/4؛ رقم (5415)؛ قال الهيثمي 129/1: رجاله رجال الصحيح.

(2) أخرجه البخاري89/1؛ رقم (217) ، وأبو داود130/1؛ رقم (380)، والترمذي 275/1؛ رقم (147)، والنسائي48/1؛ رقم (56) ، وابن حبان244/4؛ رقم (1399)، وأحمد في المسند 282/2؛ رقم (7786)، والحميدي 419/2؛ رقم (938)، وابن خزيمة 150/1؛ رقم (297).

= ومعنى قوله (هريقوا) : صبوا.

و(سجلا) : الدلو الممتلئة ماء.

و(ذنوبا) : الدلو الكبير الممتليء بالماء.

و(لم تبعثوا معسرين) : من شأنكم عدم التعسير؛ لما جاء به شرعكم من اليسر، ورفع الحرج، والتضييق.

صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس؛ إنما هى التكبير، والتسبيح، وتلاوة القرآن[1].

2- حوار - ﷺ - مع المعترضين

ومن النماذج المهمة فى حوار النبي - ﷺ - مع أصحابه ما حدث من بعضهم حينما اعترض على طريقة توزيع الغنائم كيف حاورهم - ﷺ - ؟ .

وكيف أقنعهم بما فعل؟ .

وكيف عرفوا أنهم كانوا على خطأ ؟.

فعن أبي سعيد الخدري قال: لما أعطى رسول الله - ﷺ - ما أعطى من تلك العطايا فى قريش، وقبائل العرب، ولم يكن فى الأنصار منها شيء وجد هذا الحي من الأنصار فى أنفسهم حتى كثرت فيهم القالة حتى قال قائلهم: لقي رسول الله - ﷺ - قومه؛ فدخل عليه سعد بن عبادة؛ فقال يا رسول الله : إن هذا الحي قد وجدوا عليك فى أنفسهم لما صنعت فى هذا الفيء الذى أصبت قسمت فى قومك، وأعطيت عطايا عظامًا فى قبائل العرب، ولم يك فى هذا الحي من الأنصار شيء.

فقال - ﷺ - فإن أنت من ذلك يا سعد.

قال يا رسول الله : ما أنا إلا إمرؤ من قومي وما أنا.

فقال النبي - ﷺ - :فاجمع لي قومك فى هذه الحظيرة.

فخرج سعدٌ فجمع الأنصار فى تلك الحظيرة، فجاء رجال من المهاجرين؛ فتركهم؛ فدخلوا، وجاء آخرون فردهم؛ فما اجتمعوا أتاه سعد فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار.

فأتاهم رسول الله - ﷺ - فحمد الله، وأثنى عليه بالذى هو له أهل ثم قال: يا معشر الأنصار مقالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها فى أنفسكم ألم آتكم ضلالًا فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألّف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بل الله ورسوله أمن وأفضل.

([1]) أخرجه أبو داود في سننه 1 / 245 في كتاب الصلاة - باب تشميت العاطس في الصلاة .

قال : « ألا تجيبوني يا معشر الأنصار » ؛ قالوا : وبماذا نجيبك يا رسول الله ؟ ولله ولرسوله المن والفضل ؛ قال : « أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم، وصدقتم أتيتنا مكذبا فصدقناك، ومخذولًا فنصرناك، وطريدًا فآويناك، وعائلًا فآسيناك أوجدتم فى أنفسكم يا معشر الأنصار فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قومًا؛ ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم » .

أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة، والبعير، وترجعون برسول الله فى رحالكم؛ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار، ولو سلك الناس شعبًا وسلكت الأنصار شعبًا؛ لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار.

فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا : رضينا برسول الله قسمًا وحظًّا.

فقال رسول الله - ﷺ - : خبرني بهن آنفًا جبريل، قال : فقال عبد الله : ذاك عدو اليهود من الملائكة فقال رسول الله - ﷺ - :

أما أول أشراط الساعة؛ فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب.

وأما أول طعام يأكله أهل الجنة؛ فزيادة كبد حوت.

وأما الشبه فى الولد؛ فإن الرجل إذا غشى المرأة؛ فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها؛ فقال عبد الله بن سلام : أشهد أنك رسول الله، ثم قال يا رسول الله: إن اليهود قوم بهت إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك؛ فجاءت اليهود، ودخل عبد الله البيت.

فقال رسول الله - ﷺ - : أي رجل فيكم عبد الله بن سلام، قالوا : أعلمنا، وابن أعلمنا، وخيرنا، وابن خيرنا؛ فقال رسول الله - ﷺ - : أفرأيتم إن أسلم عبد الله قالوا أعاذه الله من ذلك.

فخرج عبد الله إليهم؛ فقال : أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله؛ فقالوا: شرنا، وابن شرنا؛ ووقعوا فيه.

فقال عبد الله بن سلام: هذا ما كنت أخاف يا رسول الله[1].

([1]) أخرجه البخاري في صحيحه 4 / 446-447 في كتاب أحاديث الأنبياء - باب خلق آدم وذريته .

3 - حواره - ﷺ - وقت الأزمات

ومن أهم الأمثلة - فى ذلك - ما حدث فى صلح الحديبية:

أ- التمويه

فقد خرج رسول الله - ﷺ - زمن الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال النبي - ﷺ - : إن خالد بن الوليد بالغميم فى خيل لقريش طليعة، فخذوا ذات اليمين، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش[1] فانطلق يركض نذيرًا لقريش وسار النبي - ﷺ - حتى إذا كان بالثنية التى يهبط عليهم منها بركت به راحلته؛ فقال الناس : حل حل فألحت[2] ؛ فقالوا : خلأت القصواء[3] ؛ فقال النبي ﷺ ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق؛ ولكن حبسها حابس الفيل، ثم قال : والذى نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها ثم زجرها؛ فوثبت[4].

ب- معجزة جديدة

فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد [5]قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا[6]، فلم يلبثه الناس حتى نزحوه، وشكى إلى رسول الله - ﷺ - العطش؛ فانتزع سهمًا من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه؛ فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه[7].

ج- بدء المفاوضات

جاء بديل بن ورقاء الخزاعي فى نفر من قومه من خزاعة، وكانوا عيبة

---

(1) قترة الجيش : الغبار الأسود الذى أثارته حوافر خيل الجيش .
(2) فألحت: لزمت مكانها، ولم تتحرك.
(3) خلأت القصواء: امتنعت عن المشي.
(4) أخرجه البخاري في صحيحه 3 / 244 في كتاب الشروط - باب الشروط في الجهاد .
(5) ثمد: حوض فيه ماء قليل.
(6) يتبرضه الناس تبرضا: يأخذون منه أخذا قليلا قليلا.
(7) المصدر السابق، الموضع السابق .

نُصِح [1] رسول الله - ﷺ - من أهل تهامة؛ فقال : إني تركت كعب بن لؤي، وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية، ومعهم العوذ المطافيل [2]، وهم مقاتلوك، وصادوك عن البيت؛ فقال رسول الله - ﷺ - إنا لم نجيء لقتال أحد، ولكنا جئنا معتمرين، وإن قريشًا قد نهكتهم الحرب، وأضرت بهم؛ فإن شاءوا ماددتهم مدة، ويخلوا بيني، وبين الناس؛ فإن أظهر؛ فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا؛ وإلا فقد جموا [3]، وإن هم أبوا؛ فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي [4] ، ولينفذن الله أمره؛ فقال بديل : سأبلغهم ما تقول، قال : فانطلق حتى أتى قريشًا، قال : إنا قد جئناكم من هذا الرجل، وسمعناه يقول قولًا فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا؛ فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء؛ وقال ذوو الرأي منهم : هَاتِ ما سمعته يقول قال : سمعته يقول كذا وكذا؛ فحدثهم بما قال النبي - ﷺ - فقام عروة بن مسعود، فقال : أي قوم ألستم بالوالد ؟ قالوا : بلى ، قال : أو لست بالولد ؟ قالوا : بلى ؛ قال : فهل تتهموني ؟ قالوا : لا ؛ قال : ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا [5] علي جئتكم بأهلي، وولدي، ومن أطاعني؛ قالوا : بلى ؛ قال : فإن هذا قد عرض لكم خطة رشد أقبلوها، ودعوني آتيه، قالوا : ائته فأتاه؛ فجعل يكلم النبي - ﷺ - ؛ فقال النبي - ﷺ - : نحوًا من قوله لبديل؛ فقال عروة عند ذلك : أي محمد أرأيت إن استأصلت أمر قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك ؟ ، وإن تكن الأخرى فإني والله لأرى وجوهًا وإني لأرى أشوابًا من الناس خليقًا أن يفروا ويدعوك؛ فقال له أبو بكر الصديق : امصص ببظر اللات أنحن نفر عنه، وندعه؛ فقال : من ذا، قالوا : أبو بكر؛ قال : أما والذى نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك،

---

(1) عيبة نصح: محل نصحه، وموضع سره، وأمانته، والعيبة فى الأصل : ما يوضع فيه الثياب؛ لحفظها، والنصح : الخلوص من الشوائب.

(2) العوذ: النوق التى ولدت حدثيًا؛ فهي ذات لبن.
والمطافيل : النوق التى معها أولادها؛ وأصله : الأمهت التى معها أطفالها.
والمراد من قوله : معهم المعوذ المطافيل : أنهم خرجوا معهم بذوات الألبان يتزودون من ألبانها.

(3) جموا: استراحوا من جهد الحرب.

(4) تنفرد سالفتي: ينفصل مقدم عنقي؛ أي : حتى أقتل.

(5) بلحوا: امتنعوا.

قال : وجعل يكلم النبي - ﷺ - فكلما تكلم أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبيّ - ﷺ - ، ومعه السيف، وعليه المغفر[1] ؛ فكلما أهوى عروة بيده إلى لحيةَ النبي - ﷺ - ضرب يده بنعل السيف، وقال له : أخر يدك عن لحية رسول الله - ﷺ - فرفع عروة رأسه فقال : من هذا قالوا : المغيرة بن شعبة؛ فقال أي غدر ألست أسعى في غدرتك، وكان المغيرة صحب قومًا في الجاهلية فقتلهم، وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم؛ فقال النبي - ﷺ - أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء، ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي - ﷺ - بعينيه، قال : فوالله ما تنخم رسول - ﷺ - نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه، وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له؛ فرجع عروة إلى أصحابه، فقال : أي قوم والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر، وكسري، والنجاشي، والله إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد - ﷺ - محمدًا، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه، وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له؛ وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها، فقال رجل من بني كنانة : دعوني آتيه؛ فقالوا : إئته؛ فلما أشرف على النبي - ﷺ - وأصحابه قال النبي - ﷺ - : هذا فلان؛ وهو من قوم يعظمون البدن؛ فابعثوها له؛ فبعثت له، واستقبله الناس يلبون؛ فلما رأى ذلك قال : سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت؛ فلما رجع إلى أصحابه، قال : رأيت البدن قد قلدت، وأشعرت؛ فما أرى أن يصدوا عن البيت؛ فقام رجل منهم - يُقال له مكرز بن حفص - فقال : دعوني آتيه، فقالوا : ائته؛ فلما أشرف عليهم، قال النبي - ﷺ - هذا مكرز - وهو رجل فاجر - فجعل يكلم النبي - ﷺ - .

ثم جاء سهيل بن عمرو؛ فقال : هَاتِ اكتب بيننا، وبينكم كتابًا؛ فدعا النبي - ﷺ -الكاتب؛ فقال النبي - ﷺ - : بسم الله الرحمن الرحيم؛ قال سهيل : أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو؛ ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت

([1]) المغفر: ما يوضع على الراس تحت الخوذة من زرد منسوج، ويسدل على الوجه؛ ليحميه من ضربات السلاح.

تكتب؛ فقال المسلمون : والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم ؛ فقال النبي - ﷺ - اكتب باسمك اللهم؛ ثم قال : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله؛ فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك؛ ولكن اكتب محمد بن عبد الله؛ فقال النبي - ﷺ - والله إني لرسول الله، وإن كذبتموني اكتب محمد بن عبد الله؛ فقال له النبي - ﷺ - على أن تخلوا بيننا، وبين البيت؛ فنطوف به؛ فقال سهيل : والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة؛ ولكن ذلك من العام المقبل؛ فكتب فقال سهيل : وعلى أنه لا يأتيك منا رجل، وإن كان على إلا رددته إلينا؛ قال المسلمون : سبحان الله كيف يرد إلى المشركين؛ وقد جاء مسلمًا ؟ فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف فى قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين؛ فقال سهيل : هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلي؛ فقال النبي - ﷺ - إنا لم نقض الكتاب بعد، قال : فوالله إذًا لم أصالحك على شيء أبدًا، قال النبي - ﷺ - فأجزه لي، قال : ما أنا بمجيزه لك، قال بلى فافعل، قال ما أنا بفاعل، قال مكرز بل قد أجزناه لك، قال أبو جندل : أي معشر المسلمين أرد إلى المشركين، وقد جئت مسلمًا ألا ترون ما قد لقيت، وكان قد عذب عذابًا شديدًا فى الله .

*** حوار بين عمر و النبي - ﷺ -**

قال عمر بن الخطاب : فأتيت نبي الله - ﷺ - فقلت ألست نبي الله حَقًّا ؟ قال : بلى قلت : ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى قلت : فَلِمَ نعطى الدنية فى ديننا إذا قال إني رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصري ؟ قلت : أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت؛ فنطوف به، قال : بلى فأخبرتك أنا نأتيه العام، قال : قلت : لا، قال : فإنك آتيه، ومطوف به، قال : فأتيت أبا بكر، فقلت يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقا ؟ قال : بلى قلت : ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى، قلت : فَلِمَ نعطي الدنية فى ديننا إذا قال أيها الرجل إنه لرسول الله - ﷺ - وليس يعصي ربه، وهو ناصره فاستمسك بغرزة فوالله إنه على الحق ؟ قلت أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت، ونطوف به ؟ قال : بلى أفأخبرك أنك تأتيه العام، قلت : لا، قال : فإنك آتيه، ومطوف به.

ثم قال رسول الله - ﷺ - لأصحابه : قوموا فانحروا، ثم احلقوا؛ قال : فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل

على أم سلمة؛ فذكر لها ما لقى من الناس؛ فقالت أم سلمة : يا نبي الله أتحب ذلك اخرج، ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك؛ فيحلقك؛ فخرج فلم يكلم أحدًا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه، ودعا حالقه، فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا، فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضًا حتى كان بعضهم يقتل بعضا غما [1]، ثم جاءه نسوة مؤمنات؛ فأنزل الله - تعالى - ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ﴾ حتى بلغ ﴿ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ ﴾ ؛ فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له فى الشرك؛ فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان، والأخرى صفوان بن أمية، ثم رجع النبي - ﷺ - إلى المدينة؛ فجاءه أبو بصير - رجل من قريش، وهو مسلم - فأرسلوا فى طلبه رجلين؛ فقالوا العهد الذى جعلت لنا؛ فدفعه إلى الرجلين؛ فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة؛ فنزلوا يأكلون من تمر لهم؛ فقال أبو بصير لأحد الرجلين : والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان فاستله الآخر؛ فقال : أجل؛ والله إنه لجيد لقد جربت به، ثم جربت؛ فقال أبو بصير : أرني أنظر إليه؛ فأمكنه منه؛ فضربه حتى برد، وفر الآخر حتى أتى المدينة؛ فدخل المسجد يعدو؛ فقال رسول الله - ﷺ - حين رآه : لقد رأى هذا ذعرًا فما انتهى إلى النبي - ﷺ - قال : قتل - والله - صاحبي؛ وإني لمقتول؛ فجاء أبو بصير؛ فقال : يا نبي الله ؛ قد والله أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم، ثم أنجاني الله منهم؛ قال النبي - ﷺ - ويل أمه مسعر حرب [2] لو كان له أحد؛ فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم؛ فخرج حتى أتى سيف البحر، قال : وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل؛ فلحق بأبي بصير؛ فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها؛ فقتلوهم، وأخذوا أموالهم؛ فأرسلت قريش إلى النبي - ﷺ - تناشده بالله، والرحم لما أرسل فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النبي - ﷺ - إليهم فأنزل الله - تعالى - (وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ) حتى بلغ (ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ) ، وكانت حميتهم أنهم

---

(1) غما : حزنا على عدم المبادرة للامتثال .

(2) مسعر حرب: محرك لها، وموقد لنارها، والمسعر فى الأصل : العود الذى تحرك به النار.

لم يقروا أنه نبي الله ، وبسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينهم، وبين البيت[1] .

المبحث الثاني

حوار النبي - ﷺ - مع النساء

كان النبي - ﷺ - سهلًا فى معاملته مع النساء؛ فهو - ﷺ - يمازح أزواجه؛ وهذا من باب اهتمامه، ورفقه بهن - ﷺ - .

فقد سابق النبي - ﷺ - زوجه السيدة عائشة - رضي الله عنها -؛ فقد كان - ﷺ - فى سفر مع أصحابه، فقال لها: تعالى أسابقك؛ فتسابقا؛ فسبقت السيدة عائشة النبي - ﷺ - .

وفى سفر آخر قال لها: تعالى أسابقك؛ فتسابقا؛ فسبقها النبي - ﷺ - فقال لها: هذه بتلك؛ أي : سبقتيني مرة، وسبقتك مرة.

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: خرجت مع رسول الله - ﷺ - وأنا خفيفة اللحم؛ فنزلنا منزلًا؛ فقال لأصحابه: تقدموا.

ثم قال لي: تعالى حتى أسابقك؛ فسابقني؛ فسبقته، ثم خرجت معه فى سفر آخر، وقد حملت اللحم، فنزلنا منزلا، فقال لأصحابه: تقدموا.

ثم قال لي : تعالى أسابقك؛ فسابقني؛ فسبقني، فضرب بيده كتفي؛ وقال: هذه بتلك[2]

وفى رواية أخرى قالت: سابقني رسول الله ﷺ؛ فسبقته فلبث حتى أرهقني اللحم؛ فسابقني؛ فسبقني؛ فقال: هذه بتلك[3].

وكان النبي - ﷺ - يقدر لها حداثة سنها، وحاجتها إلى اللعب، وكان يسرب إليها صواحب يلاعبنها، وكان يمكنها أن تضع رأسها على كتفه الشريف؛

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه 3 / 244 ، 245 ، 246 ، 247 ، 248 ، 249، 250 في كتاب الشروط - باب الشروط في الجهاد .

(2) أخرجه أحمد في المسند 39/6؛ رقم (34165)، والنسائي فى السنن الكبرى 304/5؛ رقم (8943) ، والبيهقي فى السنن الكبرى 10/ 17؛ رقم (19543).

(3) أخرجه أحمد في المسند 39/6؛ رقم (24164)، وأبو داود 34/2؛ رقم (2578)، والنسائي فى السنن الكبرى 303/5؛ رقم (8942)، وابن ماجه 363/1؛ رقم (1979)، وابن حبان 545/10؛ رقم (4691) .

لم يقروا أنه نبي الله ، وبسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينهم، وبين البيت[1] .

المبحث الثاني

حوار النبي - ﷺ - مع النساء

كان النبي - ﷺ - سهلًا فى معاملته مع النساء؛ فهو - ﷺ - يمازح أزواجه؛ وهذا من باب اهتمامه، ورفقه بهن - ﷺ - .

فقد سابق النبي - ﷺ - زوجه السيدة عائشة - رضي الله عنها -؛ فقد كان - ﷺ - فى سفر مع أصحابه، فقال لها: تعالى أسابقك؛ فتسابقا؛ فسبقت السيدة عائشة النبي - ﷺ - .

وفى سفر آخر قال لها: تعالى أسابقك؛ فتسابقا؛ فسبقها النبي - ﷺ - فقال لها: هذه بتلك؛ أي : سبقتيني مرة، وسبقتك مرة.

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: خرجت مع رسول الله - ﷺ - وأنا خفيفة اللحم؛ فنزلنا منزلًا؛ فقال لأصحابه: تقدموا.

ثم قال لي: تعالى حتى أسابقك؛ فسابقني؛ فسبقته، ثم خرجت معه فى سفر آخر، وقد حملت اللحم، فنزلنا منزلا، فقال لأصحابه: تقدموا.

ثم قال لي : تعالى أسابقك؛ فسابقني؛ فسبقني، فضرب بيده كتفي؛ وقال: هذه بتلك[2]

وفى رواية أخرى قالت: سابقني رسول الله ﷺ؛ فسبقته فلبث حتى أرهقني اللحم؛ فسابقني؛ فسبقني؛ فقال: هذه بتلك[3].

وكان النبي - ﷺ - يقدر لها حداثة سنها، وحاجتها إلى اللعب، وكان يسرب إليها صواحب يلاعبنها، وكان يمكنها أن تضع رأسها على كتفه الشريف؛

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه 3 / 244 ، 245 ، 246 ، 247 ، 248 ، 249، 250 في كتاب الشروط - باب الشروط في الجهاد .

(2) أخرجه أحمد في المسند 39/6؛ رقم (34165)، والنسائي فى السنن الكبرى 304/5؛ رقم (8943) ، والبيهقي فى السنن الكبرى 10/ 17؛ رقم (19543).

(3) أخرجه أحمد في المسند 39/6؛ رقم (24164)، وأبو داود 34/2؛ رقم (2578)، والنسائي فى السنن الكبرى 303/5؛ رقم (8942)، وابن ماجه 363/1؛ رقم (1979)، وابن حبان 545/10؛ رقم (4691) .

وهى خلفه مستترة به؛ لتنظر إلى الأحباش يلعبون بحرابهم فى المسجد.

فعن عائشة قالت: دخلَ عَليَّ رسول الله - ﷺ - وعندي جاريتان تغنيان بغناء بُعاث فاضطجع على الفراش، وحول وجهه، ودخل أبو بكر؛ فانتهرني، وقال : مزمارة الشيطان عند النبي - ﷺ - فأقبل عليه رسول الله - ﷺ - فقال دعهما؛ فلما غفل غمزتهما؛ فخرجتا.

وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق، والحراب؛ فإما سألت النبي ﷺ وإما قال: تشتهين تنظرين؛ فقلت : نعم ؛ فأقامني وراءه خدى على خده؛ وهو يقول: دونكم يا بني أرفدة. حتى إذا مللت قال: حسبك؛ قلت: نعم؛ قال: فاذهبي[1].

ومن لطفه - ﷺ - بزوجاته؛ أنه كان يمازحهن، ويضاحكهن .

عن عائشة قالت: زارتنا سودة يومًا؛ فجلس رسول الله - ﷺ - بيني، وبينها إحدى رجليه فى حجري، والأخرى فى حجرها؛ فعملت لها حريرة؛ فقلت : كلي، فأبت؛ فقلت : لتأكلي أو لألطخن وجهك، فأبت، فأخذت من القصعة شيئًا؛ فلطخت به وجهها، فرفع رسول الله - ﷺ - رجله من حجرها تستقيد مني؛ فأخذت من القصعة شيئًا فلطخت به وجهي، ورسول الله - ﷺ - يضحك، فإذا عمر يقول : يا عبد الله بن عمر، يا عبد الله بن عمر؛ فقال لنا رسول الله - ﷺ - : قوما فاغسلا وجوهكما فلا أحسب عمر إلا داخلا.

وفى رواية : فظن أنه سيدخل؛ فقال: قوما فاغسلا وجوهكما؛ فقالت عائشة: فما زلت أهاب عمر لهيبة رسول الله - ﷺ -[2] .

ومن ممازحته - ﷺ - أيضاً مع النساء، ما حكت عائشة - رضي الله عنها - أن نبي الله - ﷺ - أتته عجوز من الأنصار: فقالت يا رسول الله، ادع الله أن يدخلني الجنة؛ فقال النبي ﷺ : إن الجنة لا يدخلها عجوز.

فذهب نبي الله - ﷺ - : فصلى ثم رجع إلى عائشة؛ فقالت عائشة: لقد لقيت من كلمتك مشقة، وشدة؛ فقال - ﷺ - إن ذلك كذلك، إن الله إذا

([1]) أخرجه البخاري 323/1؛ رقم (907).

([2]) أخرجه النسائي 291/5؛ رقم (8917) ، وأبو يعلي 449/7؛ رقم (4476) .

أدخلهن الجنة حولهن أبكارًا[1].

وتأتيه أخرى؛ فتقول: يا رسول الله، إن زوجي يدعوك؛ فيقول : ومن هو؟ أهو الذى بعينه بياض؟ قالت: والله ما بعينه بياض، فقال ﷺ : بلى إن بعينه بياضًا؛ فقالت: لا والله ؛ فقال: ما من أحد إلا بعينه بياض، وأراد به البياض المحيط بالحدقة[2] .

وكان حواره - ﷺ - مع تلك المرأة العاقلة صاحبة الوقار.

ومن ذلك أمره - ﷺ - النساء بكثرة الصدقة؛ فقد روى عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: « **يا معشر النساء تصدقن، وأكثرن الاستغفار؛ فإني رأيتكن أكثر أهل النار** » ؛ فقالت امرأة « منهن جزلة » : وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار قال - ﷺ - : « **تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، وما رأيت من ناقصات عقل، ودين، أغلب لذي لب منكن؛ قالت يا رسول الله : وما نقصان العقل والدين؟ قال** - ﷺ - : « **أما نقصان العقل؛ فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل؛ فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالي ما تصلى، وتفطر فى رمضان؛ فهذا نقصان الدين** »[3] .

هذا الحوار الذى يدل على عظم خلق النبي - ﷺ - وما كان عليه من الصفح الجميل، والرفق، والرأفة؛ وكذلك هذه المرأة العاقلة التى لم تسكت عن الشيء الذى تستشكله فى أمر دينها؛ فراجعته - ﷺ - فى ذلك حتى بَيَّنَ لها الأمر.

وكان - ﷺ - يسمر معهن مستمعا إلى أحاديثهن، وحفظت لنا كتب السنة شيئًا من هذا السمر.

ومع مزاحه - ﷺ - لهن كان يعلمهن أمور دينهن.

---

(1) أخرجه الطبراني فى الأوسط375/5؛ رقم (5545)؛ قال الهيثمي419/10 : فيه مسعدة بن اليسع؛ وهو ضعيف.

(2) قال العراقي فى تخريج أحاديث الإحياء 89/3 : أخرجه الزبير بن بكار فى كتاب الفكاهة، والمزاح؛ ورواه ابن أبي الدنيا من حديث عبيدة بن سهم الفهري مع اختلاف.

(3) صحيح البخاري : كتاب الحيض – باب ترك الحايض الصوم 99/1 ؛ حديث رقم (304)، وصحيح مسلم – كتاب الإيمان - باب نقصان الإيمان 86/1؛ حديث رقم (132).

فعن جويرية بنت الحارث قالت: أتى عَلَيَّ رسول - ﷺ - وأنا أسبح غدوة ثم انطلق لحاجته، ثم رجع قريبًا من نصف النهار، وأنا أسبح؛ فقال: ما زلت قاعدة ؟ قلت : نعم؛فقال : « **ألا أعلمك كلمات تقولينها سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله رضا نفسه ، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته، سبحان الله مداد كلماته، سبحان الله مداد كلماته** » [1].

وكان - ﷺ - يعاتب زوجاته عتابًا راقيًا، ورقيقًا.

فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال لي رسول الله ﷺ : **إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت عَلَيَّ غَضْبَى؛ قلت : كيف يا رسول الله؟ قال:**

إذا كنت عني راضية؛ قلت: لا ورب محمد.

وإذا كنتَ عَلَيَّ غَضْبَي؛ قلت : لا ورب إبراهيم.

قالت: أجل ! والله ما أهجر إلا اسمك[2] .

وكان - ﷺ - يوجه أزواجه إلى مكارم الأخلاق.

فعن عائشة - رضي الله عنها - أن يهودًا أتوا النبي - ﷺ - فقالوا : السام عليكم ؛ فقالت عائشة: عليكم، ولعنكم الله، وغضب عليكم؛ قال : **مهلا يا عائشة، عليك بالرفق ، وإياك والعنف، والفحش؛ قالت: أو لم تسمع ما قالوا ؟ قال : أو لم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم، فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم في**[3].

([1]) أخرجه الترمذي 556/5، رقم (3555)؛ وقال : صحيح، والنسائي 77/3؛ رقم (1352)، وابن حبان 110/3؛ رقم (828)، وأحمد في المسند 429/6؛ رقم (27461).

([2]) أخرجه البخاري في كتاب النكاح - باب غيرة النساء 6 / 488 ، 489 ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة - باب فضل عائشة 4 / 1890 .

([3]) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان - باب كيف يُرد على أهل الذمة السلام 7 / 173 .

ويؤيد هذا المعنى من الرفق المقصود منه اتقاء الشر حديث آخر؛ فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - ﷺ - : « **إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره** »[1].

وكان يظهر ذلك فى حوارته مع نساء المسلمين.

فعن عائشة - رضي الله عنها - أن امرأة سألت النبي ﷺ .عن الحيض كيف تغتسل منه؟

فقال: **تأخذين فرصة ممسكة فتتوضئين** [2] **بها**.

قالت : كيف أتوضأ بها يا رسول الله؟ قال النبي - ﷺ -: **توضئي**.

قالت : كيف أتوضأ بها يا رسول الله؟ قال النبي - ﷺ -: **توضئين بها**.

قالت : عائشة؛ فعرفت الذى يريد رسول الله - ﷺ -**فجذبتها إِلَيَّ فعلمتها**[3] .

---

(1) أخرجه البخاري 2244/5، رقم (5685)، ومسلم 2004/4؛ رقم (2591)، وأبو داود 251/4؛ رقم (4791)، والترمذي 359/4؛ رقم (1996)؛ وقال : حسن صحيح. وابن حبان 401/10؛ رقم (4538).

(2) فرصة ممسكة : قطعة من القطن أو الصوف مطيبة بالمسك، تتوضئين: تنظفين وتتطهرين؛ ينظر : غريب الحديث والأثر 1 / 62 .

(3) أخرجه البخاري 1306/3؛ رقم (3369)، ومسلم 1809/4؛ رقم (2320).

المبحث الثالث

حوار النبي - ﷺ - مع الأطفال

إن رسول - ﷺ - صاحب الخلق العظيم - كان يلاطف الأطفال، ويقبلهم، ويمازحهم، ويتحاور معهم، ولم يشغله أمر الرسالة عن ذلك.

فعن عبد الله بن الحارث قال: كان رسول الله - ﷺ - يصف عبد الله، وعبيد الله، وكثيرًا من بني العباس ثم يقول : « **من سبق إليّ فله كذا وكذا** »، قال : فيتسابقون إليه، فيقعون على ظهره، وصدره؛ فيقبلهم، ويلزمهم[1] .

وكذلك قول أنس - رضي الله عنه - : إن كان رسول الله - ﷺ - ليخالطنا حتى إن كان ليقول لأخ لي صغير: **يا أبا عمير، ما فعل النغير**[2] .

ويداعب أنسًا - رضي الله عنه - ويقول له: « **يا ذا الأذنين** »[3] .

ويرسل النبي - ﷺ - أنسًا - رضي الله عنه - يومًا.. ولنترك أنسًا - رضي الله عنه - يقص علينا الخبر : يقول أنس - رضي الله عنه - : كان رسول الله - ﷺ - من أحسن الناس خلقًا؛ فأرسلني يومًا لحاجة؛ فقلت: والله لا أذهب، وفى نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ؛ فخرجت حتى أمر عَلَيَّ صبيان؛ وهم يلعبون فى السوق؛ فإذا رسول الله - ﷺ - قد قبض بقفاي من ورائي؛ قال: فنظرت إليه؛ وهو يضحك؛ فقال: **يا أنيس، ذهبت حيث أمرتك؟**

---

(1) أخرجه أحمد في المسند 214/1؛ رقم (1836).

(2) أخرجه البخاري 2270/5؛ رقم (5778)، ومسلم 1692/3؛ رقم (2150)، وأبو داوود 293/4؛ رقم (4969)، والترمذي 154/2؛ رقم (333)؛ وقال: حسن صحيح، والنسائي فى الكبرى 91/6؛ رقم (10165)، وابن ماجه 1226/2؛ رقم (3720)، والطيالسي 280؛ رقم (2088)، وأحمد في المسند 119/3؛ رقم (12220)، وأبو عوانة407/1؛ رقم (1501)، والطحاوي194/1، وابن حبان 86/6؛ رقم (2308)، وابن أبي شيبة 351/1؛ رقم (4042).

(3) أخرجه أبو داود 301/4؛ رقم (5002)، والترمذي 358/4؛ رقم (1992)؛ وقال : صحيح غريب ، وأحمد في المسند 117/3؛ رقم (12185)، والبيهقي 248/10؛ رقم (20958)، وأبو يعلي91/7؛ رقم (4029)، وابن أبي عاصم - فى الآحاد والمثاني - 235/4؛ رقم (2224).

قال : قلت : نعم، أنا ذاهب يا رسول الله - ﷺ -[1] .

ويُخرج لسانه للحسن والحسين - صغارًا - مداعبًا إياهما - رضي الله عنهما -، ويطأطىء ظهره لولديه - الحسن والحسين - ليركبا.

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: **أقبل النبي - ﷺ - وهو يحمل الحسن بن علي، على رقبته، قال: فلقيه رجل؛ فقال: نعم المركب ركبت يا غلام؛ قال: فقال - ﷺ -: ونعم الراكب هو**[2] .

وفى رواية - عند الطبراني -: عن أبي هريرة، قال: سمعت أذناي هاتان، وأبصرت عيناي هاتان رسول الله - ﷺ - ، وهو آخذ بكفيه جميعًا، حسنًا أو حسينًا، وقدماه على قدمي رسول الله - ﷺ - ، وهو يقول: حزقة حزقة ترقَّ عين بقة؛ فيرقى الغلام حتى يضع قدمه على صدر رسول الله - ﷺ - ، ثم قال له: افتح فاك؛ قال : ثم قبله، ثم قال : اللهم أحبه؛ فإني أحبه[3].

فإن هذه الأخلاق، والآداب مع هؤلاء الأطفال لا تصدر إلا عن عظيم، وكبير القدر، كيف لا ؟ وهي صادرة عن خير خلق الله - محمد بن عبد الله - صلوات الله، وسلامه عليه - إن خلقه القرآن الكريم، أدبه ربه؛ فأحسن تأديبه.

الفصل الثالث

نجاح الحوار

حتى ينجح الحوار بين الأطراف المختلفة يجب عليهم:

أولًا: أن يلتزم كل طرف بآداب الحوار.

ثانيًا: الاتفاق على مجموعة من الضوابط أثناء الحوار لا يشذ عنها أي طرف.

---

(1) أخرجه مسلم 1805/4؛ رقم (2310) .

(2) أخرجه الترمذي 661/5؛ رقم (3784)؛ وقال : غريب، والحاكم 186/3؛ رقم (4794)؛ وقال: صحيح الإسناد.

(3) أخرجه الطبراني 49/3؛ رقم (2652)؛ قال الهيثمي 176/9: فيه أبو مزرد، ولم أجد من وثقه، وبقية رجاله رجال الصحيح، وابن عساكر 194/13، وابن أبي شيبة 380/6؛ رقم (32193)، والرامهرميزي 129؛ رقم (99)، والحاكم فى معرفة علوم الحديث 89 .

ثالثًا: الابتعاد عن الأسباب المؤدية لفشل الحوار.

وفيما يلي بيان لما أجمل.

المبحث الأول

الآداب العامة للحوار

من الآداب العامة للحوار البنّاء التى يجب على المتحاورين التزامها ما يلي

من الأمثلة السابقة لحوارات النبي - ﷺ - يمكن لنا أن نستخلص مجموعة من الأداب العامة للحوار منها:

- إخلاص النية لله - تعالى -

تعتبر النية هى الأصل لكل ما يفعله المسلم فى حياته من عبادات، ومعاملات، وعادات؛ فلابد له أن يجعل كل أعماله خالصة لوجه الله - تعالى -؛ ولهذا يجب على كل متحاور أن يخلص النية فى حواره، ويكون قصده فى ذلك التقرب إلى الله - تعالى - ، وطلب مرضاته فى امتثال أمره؛ فيما أمر به من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الحق، وإزهاق الباطل؛ فلا يقصد المباهاة، وطلب الجاه، والرياء ؛ لقوله - ﷺ -:« **إنما الأعمال بالنيات** »[1] .

وذلك لأن المقصود من الحوار الوصول إلى الحق ، وليس المقصود منه العلو فى الأرض، ولا الفساد، ولا الانتصار للنفس.

وعلى المسلم أن يطلب الحق بحسن نية، وألا يكون هدفه هو أن يسمع كلام خصمه، ثم يرد عليه متى سكت؛ بل هدفه الوصول إلى الحقيقة؛ ولهذا كان الإمام الشافعي - رحمه الله - يقول : ما ناظرت أحدًا قط إلا أحببت أن يوفق، ويسدد، ويعان، ويكون عليه رعاية من الله، وحفظًا، وما ناظرت أحدًا إلا ولم أبالي بين الله الحق على لساني، أو لسانه[2] .

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه 1 / 3 في كتاب بدء الوحي - باب كيف بدء الوحي .

(2) أخرجه أبو نعيم - فى حلية الأولياء - 118/9 .

2- السماحة، والتخلي عن التعصب

فلا بد أن يتخلى كلا الفريقين اللذين تصديا للحوار حول موضوع معين عن التعصب؛ لوجهة نظره السابقة، وعليهما إعلان الاستعداد التام للبحث عن الحقيقة، والأخذ بها عند ظهورها سواء أكانت هي وجهة نظره السابقة أم وجهة نظر من يحاوره، أم وجهة نظر أخرى.

وقد أرشدنا القرآن الكريم إلى الأخذ بهذه القاعدة إذ علم الرسول أن يقول للمشركين في مجادلته لهم فقال[1] -سبحانه -:(وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ).

وفي هذه الآية الكريمة غاية التخلي عن التعصب لأمر سابق، وكمال الرغبة بطلب الحقيقة أنَّى كانت.

والسماحة، وعدم التعصب لا يعنيان بالضرورة الانهزام، والاستسلام ونهج ما يرتضيه الغير؛ بل هما أوج القوة الفكرية، وسمو التربية الروحية، و لقوله - صلى الله عليه وسلم - : « **أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء** »[2] .

3- حسن الظن

يجب على المتحاور أن يكون حسن الظن بالآخرين؛ فالأصل البراءة، ولا مزايدة على الإخلاص لله أو للأمة، فجميع الفصائل المتحاورة يجب أن يكون لديهم الحرص على الإخلاص للأمة؛ ولكن الاختلاف في وسائل تحقيق المصلحة؛ لقوله - صلى الله عليه وسلم - : « **إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث** »[3] قال الترمذي : حسن صحيح ؛ وقوله : « **وأن نظن به خيرًا** »[4] .

([1]) سورة سبأ ، الآية : 24

([2]) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب - باب في حسن الخُلق 4 / 253 .

([3]) أخرجه البخاري في كتاب الأدب 58 - باب 7 / 117 . والترمذي في كتاب أبواب البر والصلة - باب ما جاء في ظن السوء 3 / 240 .

([4]) أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن - باب حرمة دم المؤمن وماله 4 / 164 ؛ ورجاله ثقات، ما عدا نصر بن محمد؛ ضعفه أبو حاتم، ووثقه ابن حبان .

4- سلوك الحُسْنى

مصداقًا؛ لقوله[1] - تعالى -:(ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ).

هذه الآية الكريمة رسمت أقوم طرق الدعوة إلى الله - تعالى - ، وعينت أحكم وسائلها، وأنجحها فى هداية النفوس.

حيث تأمر الدعاة فى كل زمان، ومكان أن تكون دعوتهم فى سبيل الله لا فى سبيل غيره إلى طريق الحق لا طريق الباطل؛ وإنها تأمرهم - أيضًا - أن يراعوا فى دعوتهم أحوال الناس، وطباعهم ، وسعة مداركهم، وظروف حياتهم، وتفاوت ثقافاتهم.

وأن يخاطبوا كل طائفة بالقدر الذى تسعه عقولهم ، وبالأسلوب الذى يؤثر فى نفوسهم، وبالطريقة التى ترضى قلوبهم، وعواطفهم.

فمن لم يقنعه القول المحكم، قد تقنعه الموعظة الحسنة، ومن لم تقنعه الموعظة الحسنة، قد يقنعه الجدال بالتي هى أحسن.

ولذلك كان من الواجب على الدعاة إلى الحق ، أن يتزودوا بجانب ثقافتهم الدينية الأصيلة الواسعة بالكثير من ألوان العلوم الأخرى؛ كعلم النفس، والاجتماع، والتاريخ، وطبائع الأفراد، والأمم؛ فإنه ليس شيء أنجح فى الدعوة من معرفة طبائع الناس، وميولهم، وتغذية هذه الطبائع، والميول بما يشبعها من الزاد النافع، وبما يجعلها تقبل على فعل الخير ، وتدبر عن فعل الشر.

فالآية الكريمة - إذن - لا تكتفي بالأمر بالجدال بالطريقة الحسنة؛ بل أمرت بالتي هى أحسن؛ ومعنى ذلك أنه إذا كان هناك طريقتان للحوار، والمناقشة: أحدهما - حسن، والآخر - أحسن منها؛ وجب على المسلم أن يجادل بالتي هى أحسن جذبًا للقلوب، وتقريبًا للأنفس المتباعدة.

([1]) سورة النحل ، الآية : 125.

5- الالتزام بالهدوء

يستحسن أن يكون الحوار هادئًا لا تتعالى فيه الأصوات؛ وذلك لأن جو المحاورة يتطلب الهدوء؛ والحوار الهاديء هو الذى يقابل الحسنة بالسيئة، ويحول الهياج إلى وداعة ، والغضب إلى سكينة، والتبجح إلى حياة على كلمة طيبة، ونبرة هادئة، وسمة صائبة.

6- التواضع، وتجنب ما يدل على العجب، والغرور، والكبرياء

فعلى المحاور ألا يظهر أي إشارة منه تدل على السخرية، وعدم الاكتراث بالآخر، والاستكبار؛ فهذا كله من الكبر المنهي عنه.

وقد قال النبي - ﷺ - : « **الكبر بطر الحق، وغمط الناس** »[1] .

والمراد من قوله : غمط الناس؛ أي : احتقارهم، والازدراء بهم.

ومن التواضع ترك استخدام الألفاظ الدالة على التعالى، والكبرياء، وازدراء ما عند الآخرين.

7- الإصغاء إلى الآخرين

لأن حسن الصمت، والإصغاء فى الحوار له فوائد كثيرة منها:

أ - أنه خطوة نحو الكلمة الصائبة؛ لاختيارها.

ب- أنه يزيد العلم، ويعلم المرء الحلم.

ج- أن الصمت بريد السلامة؛ لقوله - ﷺ - : « **رحم الله امرأ تكلم؛ فغنم، أو سكت؛ فسلم** »[2] .

أما الإصغاء؛ فهو أدب عظيم؛ إذ قالت العرب: رأس الأدب كله الفهم، والتفهم، والإصغاء إلى المتكلم .

8- احترام الطرف الآخر

---

(1) أخرجه مسلم 1-93؛ رقم (91)، والترمذي 361/4؛ رقم (1999)؛ وقال : حسن صحيح غريب ، وأبو عوانة 1-39؛ رقم (85)، وابن حبان 280/12؛ رقم (5466).

(2) اخرجه مسلم 93/1؛ رقم (91)، والترمذي 361/4؛ رقم (1999)؛ وقال : حسن صحيح غريب، وأبو عوانة 39/1؛ رقم (85)، وابن حبان 280/12؛ رقم (5466).

لقد أمرنا الإسلام أن ننزل الناس منازلهم ، وألا نبخس أشياءهم؛ والنجاح فى الحوار ليس مرهونا بإسقاط الطرف الآخر؛ ولهذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « **ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذىء** »[1].

ومعنى الحديث ليس المؤمن؛ أي : الكامل الإيمان بالطعان؛ أي : عيابًا للناس، ولا اللعان؛ ولعل اختيار صيغة المبالغة فيها؛ لأن الكامل قل أن يخلو عن المنقصة بالكلية، ولا الفاحش؛ أي : فاعل الفحش، أو قائله؛ وفى النهاية؛ أي : من له الفحش فى كلامه، وفعاله، قيل : أي : الشاتم، والظاهر أن المراد به الشتم القبيح الذي يقبح ذكره، ولا البذيء، وهو الذى لا حياء له؛ وفى النهاية البذاءة : الفحش فى القول[2] .

ومن بديع احترام رأي الآخرين، ما ينقل عن الإمام مالك أنه لما أَلَّفَ الموطأ، ومكث أربعين سنة يؤلفه، وقرىء عليه عشرات آلاف المرات، وعرضه على سبعين من العلماء؛ فأقروه عليه، وتعب فيه أيما تعب؛ ومع ذلك لما بلغ الخليفة المنصور كتاب مالك، وأعجبه؛ وقال: إنا نريد أن نعممه على الأمصار، ونأمرهم بإتباعه؛ قال له الإمام مالك: لا تفعل رحمك الله؛ فإن الناس سبقت منهم أقاويل، وسمعوا أحاديث، ورووا روايات، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم، وما أتوا به، وعملوا بذلك، ودانوا به؛ وكل ذلك من اختلاف أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ثم من بعدهم من التابعين، ورد الناس عما اعتقدوه، ودانوا به أمر صعب شديد؛ فدع الناس، وما هم عليه، ودع أهل كل بلد، وما اختاروا لأنفسهم[3].

وحاصل القول أنه يجب علينا احترام شخصية المحاور، وأهمية ملاطفته؛

---

(1) أخرجه البخاري فى الأدب المفرد 116/1؛ رقم (312)، وأحمد في المسند 404/1؛ رقم (3839)، والترمذي 350/4؛ رقم (1977)؛ وقال : حسن غريب ، وأبو يعلي 20/9؛ رقم (5088)، وابن حبان 421/1؛ رقم (192)، والطبراني الكبير207/10؛ رقم (10483)، وفى الأوسط 225/2؛ رقم (1814)، والحاكم 57/1؛ رقم (29)؛ وقال: صحيح على شرط الشيخين ، والبيهقي فى شعب الإيمان 293/4؛ رقم (5149)، والبزار 296/5؛ رقم (1914).

(2) أخرجه البيهقي فى شعب الإيمان 241/4؛ رقم (4938)، والديلمي 259/2؛ رقم (3204)، والقضاعي 339/1؛ رقم (582).

(3) ينظر : تحفة الأحوذي 95/6.

لنتجنب عداوته، أو التخفيف من حدتها ، وعلينا ألا نستهين به؛ لأن الاستهانة تضعف الحجة، وتثير الخصم؛ وكذلك يجب الانتباه له، وعدم الانصراف عنه أثناء حديثه، وأن نفسح المجال له؛ لإبداء رأيه.

9- اعتدال الصوت، وحسن الكلام

يجب على المحاور أن لا يبالغ فى رفع الصوت أثناء الحوار؛ فليس من قوة الحجة المبالغة فى رفع الصوت فى المناقشة، والحوار؛ بل كلما كان الإنسان أهدأ كان أعمق، ويظهر اعتدال الصوت، وحسن الكلام من خلال النقاط الآتية:

أ- التعبير بلغة يسيرة غير ملتبسة، ولا غامضة ، ومن أحسن الكلام ما يعبر عن حقيقة ما فى قلبك دون ستر للحقيقة، وبثوب لفظى لطيف؛ قال الله[1] - تعالى - : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ) وقال النبي[2] - صلى الله عليه وسلم - « **كاد الخيران أن يهلكا** » .

ومن حسن الكلام؛ الرفق فى الكلام، يقول[3] - تبارك وتعالى - مخاطبًا موسى، وهارون - عليهما السلام - : (فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ).

ب - ترك اللغو؛ واللغو فضل الكلام، وما لا طائل تحته؛ فلا يخوض المحاور فيما لا يثري المحاورة؛ قال الله[4] - تعالى - : (وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ).

ويقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : « **طوبى لمن تواضع من غير منقصة، وذل فى نفسه من غير مسكنة، وأنفق مالًا جمعه فى غير معصية، ورحم أهل الذل، والمسكنة، وخالط أهل الفقه، والحكمة، طوبى لمن طاب كسبه، وصلحت سريرته، وكرمت علانيته، وعزل عن الناس شره؛ طوبى لمن عمل بعلم، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله** »[5].

---

(1) سورة الحجرات ، الآية : 2 .
(2) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن - سورة الحجرات 6 / 349 .
(3) سورة طه، الآية : 44
(4) سورة المؤمنون، الآية : 3
(5) ينظر : سير أعلام النبلاء 61/8 .

ومن حسن الكلام فى الحوار؛ توضيح المضمون باستخدام ما يفهم من التعابير دون تقعر، أو تكلف؛ يقول النبي - ﷺ -:« **ألا هلك المتنطعون** »[1].

وقال - أيضًا - : « **إن أبغضكم إليّ وأبعدكم عني مجلسًا الثرثارون، والمتفيهقون، والمتشدقون** » [2].

المبحث الثاني

الضوابط الواجبة أثناء الحوار

1- الابتداء بنقاط الاتفاق

وذلك بالانطلاق من نقط مشتركة تعتبر مباديء لكل طرف من أطراف الحوار هذه النقاط التى يظن أنها موجودة بين سائر البشر؛ إذ إن « كل إنسان، ولو كان كافرًا لا يعدم نقطة خير فى قلبه يبدأ بها المسلم؛ فيدخل إليها أو يدخل منها، ثم ينميها، ويسير بها إلى هدفه الذى يريد »، وتكون القاعدة التى يتأسس عليها الحوار.

معالجة الفكرة وفق الضوابط المعمول بها فى إطارها، واحترام التخصص " فإذا كانت عقدية عرضها على القرآن، والصحيح من السنة؛ وإذا كانت فقهية عرضها على الأصول، والضوابط الفقهية مع ضرورة الأخذ بمذهب قائلها، ودليله من مصادره، وليس من مصادر خصمه، وأفواه الشانئين له"؛ فإن كان فى غير تلك المجالات نوقش فى مجال تخصصه، ووفق ضوابطه.

فلكل علم رجاله، ولكل فن أهله.

---

(1) أخرجه الطبراني 71/5؛ رقم (4615)؛ قال المنذري 141/3: رواته إلى نصيح ثقات؛ وقال الهيثمي 229/10: رواه الطبراني من طريق نصيح العنسي عن ركب، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات، والبيهقي فى السنن الكبرى 182/4؛ رقم (7572)، وفى شعب الإيمان 225/3؛ رقم (3388)، وتمام 232/2؛ رقم (1602) وابن عساكر 350/58، وابن أبي عاصم فى الآحاد والمثاني 255/5؛ رقم (2782)، والقضاعي 360/1؛ رقم (615)، والديلمي 446/2؛ رقم (3928) .

(2) أخرجه مسلم 2055/4؛ رقم (2670)، وأبو داود 201/4؛ رقم (4608)، وأحمد في المسند 386/1؛ رقم (3655)، والبزار 264/5؛ رقم (1878)، وأبو يعلي 422/8؛ رقم (5004)، والطبراني 175/10؛ رقم (10368).

2- احترام حق البنوة، والأبوة

يجب مراعاة حق الأبوة، والأمومة، والرحم؛ فلا يجوز مواجهة الآباء، والأمهات بخشونة، ولا الأخوة، والأخوات بغلظة بدعوى أنهم عصاة، أو مبتدعون، أو منحرفون.

فإن هذا لا يسقط حقهم فى لين القول؛ وبخاصة الأبوان، وحسبنا أن الله[1] - تعالى - قال - فى حقهما - : (وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ)؛ وقد أوصى النبي- ﷺ - بالتكبير عند بدء الحديث عندما قال : « **كبّر كبّر** »[2]؛ فإن التكبير مطلوب فى عموم الناس؛ فكيف بالأبوين، والأقارب.

3- قبول النتائج

قبول النتائج التى توصل إليها الأدلة القاطعة، أو الأدلة المرجحة إذا كان الموضوع فيه الدليل المرجح، وإلا كانت المحاورة من العبث الذى لا يليق بالعقلاء أن يمارسوه؛ كما أن قبول النتائج يوضح مدى حسن نية المتحاورين، وإلا فتحديد النتائج عند البداية ضرب من الجنون.

4- تحديد المصطلحات

فإن عدم الوقوع فى تلبيس المصطلحات، وتحميل ما لا تطيق، ولا تحتمل؛ وخصوصًا تلك التى تعتبر مفاهيم يلزم تحديدها، وتوضيحها لما يترتب عليها من آثار بالغة الخطورة فى الحكم على الآخرين، وتقوميهم، وتكييف العلاقة بهم؛ وذلك مثل مفاهيم (الإيمان، والإسلام، والكفر، والشرك، والنفاق، والجاهلية)؛ ونحوها؛ لما أثر عن علي - رضي الله عنه - أنه قال: « **خاطبوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذّب الله ورسوله ؟** »[3]؛ وفي رواية : « **حدّثوا**

([1]) سورة لقمان، الآية :15

([2]) أخرجه البخاري في كتاب الجزية، والموادعة - باب الموادعة، والمصالحة 4 / 402 .

([3]) أخرجه البخاري - تعليقًا - في كتاب العلم من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا 1 / 50 .

الناس على قدر عقولهم » .

5- اجتناب الغريب

وهو المحتمل من غير قرينة، وكلام السفهاء؛ لأن الغريب يكون غير واضح، وغير موصل؛ والمحتمل من غير قرينة كذلك؛ كما أن الكلام الغريب يغير اتجاه موضوع الحوار إلى البحث عن معانٍ لتلك المصطلحات الغريبة؛ ومنه يضيع الوقت.

المبحث الثالث

أسباب فشل الحوار

لقد عرفت عدة حوارات التوقف، والفشل، وعدم الاستمرارية نتيجة عدة أسباب؛ غير أن أغلب تجمد الحوارات، وفشلها فى بعض الأحيان؛ مرجعه فى المقام الأول إلى عدم التقيد بأدب الحوار، ومضامينه فى المخاطبة، والمجادلة أسلوبًا، وممارسةً فى حين أننا نجد عوائق أخرى تحول دون الحوار، أو استمراره نحو:

1- **سوء الظن؛** وهو من العوائق التى تحول دون وقوع الحوار؛ فإذا كان حسن الظن يسمح بتحقيق أرضية للحوار، أو المساواة بين المتحاورين؛ فإن سوء الظن مرض ينتشر فى النفوس الضعيفة قد نهي الإسلام عنه بقوله[1] - عز وجل-: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ) ؛ وقد تقدَّم قوله[2] - صلى الله عليه وسلم - : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » ؛ وقوله[3] - أيضًا - : « وأن نظن به خيرًا » .

2- **الحسد؛** وهو من أقبح الخصال التى تصيب الإنسان، وتنكد كل عيشته؛ فإن الحسود الذى يتمنى الشقاء، والتعاسة لغيره يشقى نفسهَ - أيضًا - بهذا الحسد؛ إذ يمنع عن نفسه فوائد الحوار، والتواصل مع الغير، ويجلب له الإثم، وسوء العاقبة.

---

(1) سورة الحجرات، الآية : 12

(2) تقدم تخريجه .

(3) تقدم تخريجه .

3- الكبرياء؛ وهو رذيلة من الرذائل الاجتماعية تغرس الفرقة، والعداوة بين الأفراد؛ فتقضي على التعاون والمحبة بينهم؛ وبذلك يظهر الطرف المتحاور للطرف المتكبر أنه دون مستواه، ولا يستحق أن ينزل إليه؛ إذ يعتبر ذلك نقصًا وعيبًا؛ لكن الحقيقة أن عدم التواضع هو النقص، والعيب؛ وأن صاحب الكبر مآله ما أخبر به الرسول - ﷺ -؛ فيما رواه عنه حارثة بن وهب الخزاعي أن النبي - ﷺ - قال : « **ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ جعظري مستكبر** »[1] ؛ ولله در قول القائل:

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر على صفحات الماء وهو رفيع

ولا تك كالدخان يعلو بنفسه إلى طبقات الجو وهو وضيع

4-الغضب؛ وهو من العوائق التى تحول دون استمرار الحوار القائم؛ وهو كذلك محاولة إبطال دعوى الخصم قبل أن يقدم الدليل؛ وهو من الرذائل الخلقية التى إذا تحكمت فى نفوس الناس، وتمكنت من مجتمعاتهم كان لها أسوأ الأثر فى حياتهم، ونتائج بشعة فى تمزيق روابط المودة بينهم؛ وقد أوصى النبي -ﷺ – أحد الصحابة عندما طلبه أن يوصيه بقوله : « **لا تغضب** »[2] .

5- الاستفزاز؛ إن استفزاز الطرف الآخر، واحتقاره بأسماء، وألقاب تؤدي إلى انفعاله ؛ وذلك بقصد وضعه فى موقف حرج، وإرباكه، وتحويل انتباه غير الملاحظ من تتبع الحوار إلى الشماتة؛ وقد نهى الإسلام عن هذا الأسلوب فى قوله[3] - تعالى - : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ

---

(1) أخرجه البخاري 1870/4؛ رقم (4634) ، ومسلم 2190/4؛ رقم (2853)، والترمذي 717/4؛ رقم (2605) ؛ وقال : حسن صحيح، والنسائي 497/6؛ رقم (11615) ، وابن ماجه 1378/2؛ رقم (4116)، وابن حبان 12/ 492؛ رقم (5679)، والطبراني 235/3؛ رقم (3255) ، والطيالسي 174؛ رقم (1238) ، وأحمد في المسند 306/4؛ رقم (18750)، والبيهقي - فى شعب الإيمان - 285/6؛ رقم (8174) .

(2) أخرجه البخاري في كتاب الأدب - باب الحذر من الغضب 7 / 130 .

(3) سورة الحجرات، الآية : 11

ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ) .

الخاتمة

بعد هذه الجولة القصيرة مع أساليب الحوار، وسنة المختار – ﷺ – نخلص إلى النتائج الآتية:

1- يحظى الحوار بحفاوة، وإقبال علمية مهمة عند علماء المسلمين، ومفكريهم؛ وهذا الاهتمام ناتج عن تميز الحوار بالوسطية، والإنصاف.

2- الحوار أوسع دلالة من الجدل؛ فكل جدل حوار، وليس كل حوار جدل؛ وذلك لأن الجدل فيه منازعة، وقوة ومغالبة، وخصومة؛ وهذا ما لا يوجد فى الحوار.

3- تفترق المناظرة عن الحوار فى أنها تقوم على المواجهة، والتضاد، والتصحيح، والإبطال فى حين أن الحوار لا يرتكز على ذلك.

4- القرآن الكريم يقرر فى آياته الكريمة على أهمية الحوار؛ كما يدعو إلى ممارسته فى إطار سنة الاختلاف؛ كما وضع القرآن الكريم أسس الحوار فى قوله – تعالى – :(قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) .

5- يدعو الإسلام إلى الحوار؛ لأن الحوار وسيلة من وسائل الدعوة.

6- حوار النبي – ﷺ – يتسم بالموضوعية، والهدوء، وعدم الانفعال.

7- من الهدى النبوي أن أسلوب الحوار يختلف باختلاف المتلقي.

8- كان النبي – ﷺ – سهلًا فى معاملة النساء؛ فكان النبي – ﷺ – يمازح أزواجه ، ويرفق بهن، ويدخل عليهن الفرح، والسرور.

9- اهتمام النبي – ﷺ – بوجود حوار مع الأطفال، والرفق بهم.

10- من آداب الحوار اليسر، والسماحة ، والتخلي عن التعصب ،

واحترام الطرف الآخر.

11- من أهم ضوابط الحوار الاتفاق على المصطلحات المشتركة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد